

من وصايا العلماء

الأحكام، وبيّنت لك فيه قواعد الإسلام؛
بألفاظ مختصرة، وعبارة محررة، وأوضحت
لك فيه نهج الرشاد، وطريق السداد، وذلك
بعد أن بلغت من العمر الخمسين، ودخلت في
عشر السّتين، وقد حكم سيّد البرايا، بأنّها:
مبدأ اعتراك المنايا^(٣)، فإنّ حكم الله تعالى
عليّ فيها بأمره، وقضى فيها بقدره، وأنفذ ما
حكم به على العباد، الحاضر منهم والباد.

فإنّي أوصيك - كما افترضه الله تعالى عليّ
من الوصيّة، وأمرني به حين إدراك المنية^(٤) -
بملازمة تقوى الله تعالى، فإنّها السنّة القائمة،
والفريضة اللازمة، والجنتّة الواقية، والعُدّة
الباقية، وأنفع ما أعدّه الإنسان ليومٍ تشخص
فيه الأبصار، ويعدم عنه الأنصار.
وعليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفعل ما
يرضيه، واجتناب ما يكرهه، والاتّجار عن
نواهيه، وقطع زمانك في تحصيل الكمالات
النفسانية، وصرّف أوقاتك في اقتناء الفضائل

وصيّة العلامة الطيّري

إلى ولده

كتب العلامة رحمه الله وصية لولده فخر
المحققين في آخر كتابه «قواعد الأحكام» فقال:

اعلم يا بُني - أعانك الله تعالى على طاعته،
ووقفك الله لفعل الخير وملازمته، وأرشدك
إلى ما يحبّه ويرضاه، وبلغك ما تأمله من
الخير وتتمنّاه، وأسعدك الله في الدارين،
وحباك^(١) بكل ما تقرّ به العين، ومدّد لك في
العمر السعيد، والعيش الرغيد، وختم أعمالك
بالصالحات، ورزقك أسباب السعادات،
وأفاض عليك من عظام البركات، ووقاك الله
كلّ محذور، ودفع عنك الشرور - أني قد
لخصت لك في هذا الكتاب^(٢) لبّ فتاوى

الرسالة والإرشاد.

فقال تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى»^(٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذريتي إذا طردوا وشردوا»^(١٠).

وقال الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيها الخلائق أنصتوا، فإن محمدًا يكلمكم؛ فینصت الخلائق. فيقوم النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، من كانت له عندي يد أو مئة أو معروف فليقم حتى أكافئه.

فيقولون: يا بآئنا وأمهاتنا، وأي يد وأي مئة وأي معروف لنا؟ بل اليد والمئة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق.

فيقول: بلى، من أوى أحداً من أهل بيتي، أو برهم، أو كساهم من عري، أو أشبع جائعهم، فيلقم حتى أكافئه.

فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله: يا محمد، يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت.

فيسكنهم في الوسيلة، حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم»^(١١).

العلمية، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المسيء بالإحسان، والمحسن بالامتنان.

وإياك ومصاحبة الأرزال، ومعاشرة الجهال؛ فإنها تفيد خُلُقاً ذمياً، ومَلَكةً رديئة. بل عليك بملازمة العلماء، ومجالسة الفضلاء؛ فإنها تفيد استعداداً تاماً لتحصيل الكمالات، وتثمر لك مَلَكةً راسخة لاستنباط المجهولات.

وليكن يومك خيراً من أمسك^(٥).

وعليك بالصبر والتوكل والرضا.

وحاسب نفسك في كل يوم وليلة.

وأكثر من الاستغفار لرّبك.

واتق دعاء المظلوم، خصوصاً اليتامى والعجائز؛ فإن الله لا يسامح بكسر كسير.

وعليك بصلاة الليل؛ فإن رسول الله صلى الله

عليه وآله حثّ عليها، وندب إليها، وقال: «من

ختم له بقيام الليل ثم مات فله الجنة»^(٦).

وعليك بصلة الرحم؛ فإنها تزيد في

العمر^(٧).

وعليك بحسن الخلق؛ فإن رسول الله صلى الله

عليه وآله قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم

فسعواهم بأخلاقكم»^(٨).

وعليك بصلة الذرية العلوية؛ فإن الله تعالى

قد أكد الوصية فيهم، وجعل مودتهم أجر

وعليك بتعظيم الفقهاء، وتكرمة العلماء؛
فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عنه راضٍ، ومن أمان فقيهاً مسلماً لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان»^(١٢).
وجعل النظر إلى وجه العلماء عبادة^(١٣)،
والنظر إلى باب العالم عبادة^(١٤)، ومجالسة
العلماء عبادة^(١٥).

وعليك بكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم
والفقه في الدين؛ فإن أمير المؤمنين عليه السلام
قال لولده:

«تفقه في الدين، فإن الفقهاء ورثة الأنبياء، وإن
طالب العلم يستغفر له من في السماوات ومن في
الأرض حتى الطير في جوف السماء والحوت في
البحر، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم
رضى به»^(١٦).

وإياك وكتمان العلم ومنعه عن المستحقين
لبذله؛ فإن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ
يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(١٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا ظهرت البدع في أمتي فلْيظهر العالم
علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»^(١٨).

وقال عليه السلام:

«لا تؤثروا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا
تمنعوها أهلها فتظلموهم»^(١٩).

وعليك بتلاوة الكتاب^(٢٠) العزيز، والتفكير
في معانيه، وامتنال أوامره ونواهيه، وتتبع
الأخبار النبوية والآثار المحمدية، والبحث
عن معانيها، واستقصاء النظر فيها، وقد
وضعت لك كتباً متعددة في ذلك كله.

هذا ما يرجع إليك.

وأما ما يرجع إليّ ويعود نفعه عليّ:

فإن تتعهدني بالترحم في بعض الأوقات،
وأن تهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، ولا
تقلل من ذكري فينسبك أهل الوفاء إلى
الغدر، ولا تكثر من ذكري فينسبك أهل الغرم
إلى العجز، بل اذكرني في خلواتك وعقيب
صلواتك، واقض ما عليّ من الديون الواجبة
والتعهدات اللازمة، وزر قبري بقدر الإمكان،
واقراء عليه شيئاً من القرآن.

وكل كتاب صنفته، وحكم الله تعالى بأمره
قبل إتمامه، فأكملة وأصلح ما تجده من
الخلل والنقصان والخطأ والنسيان.

هذه وصييتي إليك، والله خليفتي عليك،
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، والله أعلم
بالصواب.



الهوامش

- (١) حَبَاهُ يَحْبُوهُ : أي أعطاه . والحباء : العطاء .
الصحاح ٢٣٠٨ / ٦ باب «حبي» .
- (٢) أي كتاب : قواعد الأحكام .
- (٣) المجازات النسبوية : ٣٣٦ ، ح ٢٦٠ . وفيه :
قوله صلى الله عليه وآله : «مُخْتَرَكُ الْمَنَائِيَا بَيْنَ السَّيِّئِ
وَالسَّيِّئِ» ، و : «أعمار أمتي بين السَّيِّئِ
وَالسَّيِّئِ» .
- (٤) إشارة إلى معنى الآية : «١٨٠ من سورة البقرة
وهي قوله تعالى : «كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ» .
- (٥) إشارة إلى معنى الحديث الوارد في أمالي
الصدوق : ٣٢١ ، ح ٤ ، ومعاني الأخبار : ١٨٩ ،
عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : «من اعتدل
يوماه فهو مغبون...» .
- (٦) الفقيه ، ج ١ ، ص ٤٧٥ ، ح ١٣٧٣ ؛ التهذيب ، ج
٢ ، ص ١٢٢ ، ح ٤٦٥ ، عوالي اللآلي ، ج ٢ ، ص
٥١ ، ح ١١ و ج ٤ ، ص ٨ ، ح ١١ ، وسائل
الشيعة ، ج ٨ ، ص ١٥٤ ، باب ٣٩ من أبواب بقیة
الصلوات المندوبة ، ح ٢٤ .
- والمراد منه أن مات وهو مواظب على قيام
الليل فجزأه الجنة .
- (٧) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله
المروي في معاني الأخبار : ص ٢٦٤ ، وفيه :
«صلة الرحم تزيد في العمر...» .
- (٨) أمالي الصدوق : ص ٣٦٢ ، ح ٩ ، وسائل
الشيعة ، ح ١٢ ، ص ١٦١ ، باب ١٠٧ ، ح
١٥٩٥٤ .
- (٩) سورة الشورى ، الآية ٢٣ .
- (١٠) الكافي ، ج ٤ ، ص ٦٠ ، ح ٩ ؛ الفقيه ، ج ٢ ، ص
- ٣٦ ، ح ٢ ؛ الخصال : ١٦٩ ، عوالي اللآلي ج ٤ ،
ص ٨٠ ، ح ٧٩ .
- (١١) الفقيه ٢ / ٣٦ - ٣٧ ، ح ٣ ؛ عوالي اللآلي : ٤ ، ص ٨٠ ،
ح ٨٠ ، وسائل الشيعة ، ١٦ / ٣٣٣ ، باب ١٧ ، ح
٢١٦٩١ .
- (١٢) عوالي اللآلي ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ، ح ٣١ و ج ٤ ،
ص ٥٩ - ٦٠ ، ح ٤ ؛ وسائل الشيعة ، ج ٢ ، ص
٤٤ ، باب ١٠ ، ح ١٣ .
- (١٣) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله
المروي في بحار الأنوار ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، كتاب
العلم ، ح ١٤ .
- (١٤) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله
المروي في بحار الأنوار ، ج ١ ، ص ٢٠٤ ، كتاب
العلم ، ح ٢٤ ، عن كشف الغمّة وفيه : «النظر إلى
البيت عبادة...» .
- (١٥) المصدر نفسه .
- (١٦) الفقيه ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ ، باب ٢ ، ضمن الحديث
٥٨٣٤ .
- (١٧) سورة البقرة ، الآية ١٥٩ .
- (١٨) أصول الكافي ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ح ٢ ؛ المحاسن
ص ٢٣١ ، باب إظهار الحق ، ح ١٧٦ ، وفيه :
«البدعة» بدل «البدع» ؛ عوالي اللآلي ، ج ٤ ، ص
٧٠ - ٧١ ، ح ٣٩ .
- (١٩) أمالي الصدوق ص ٢٥١ ، المجلس الخمسون
ضمن الحديث ١١ ؛ عوالي اللآلي ، ج ٤ ، ص ٨٠ ،
٨١ ، ح ٨١ .
- والمراد منه أن الجهال غير مؤهلين لحمل
الحكمة ، فبيانها لهم وضعها في غير موضعها
ومحلها .
- (٢٠) في النسخة الحجرية : القرآن .